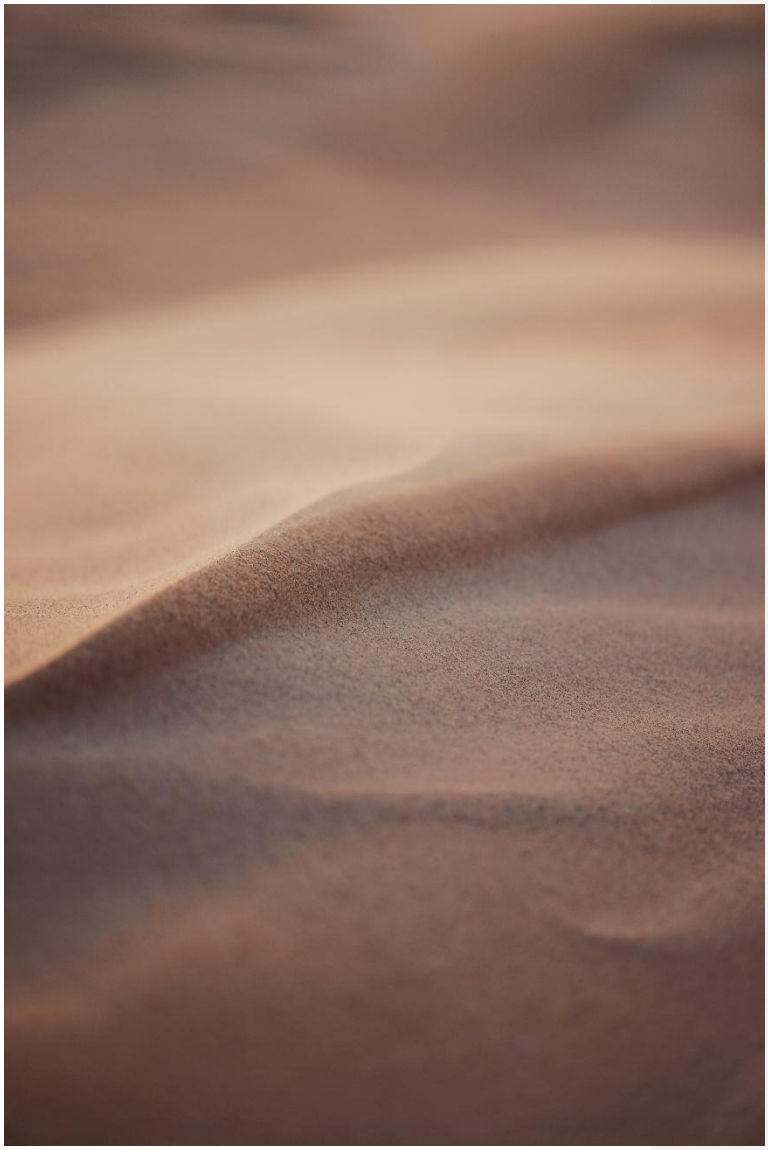

تفريغ محاضرة

كيف أمحو الذنوب

رواء الاثنين | د.هند القحطاني

١٤٤٣/١/١ هـ

"كيف أمحو الذنوب"

إنّ الحمدَ لله نحمده، ونستعينه ونستهديه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وأنّ محمدًا صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله، أمّا بعد:

تكلّمتُ الأسبوع الماضي مع إحدى الفتيات، تلك الفتاة كلمتني بصوت أسيف ومتهدِّج، وكانت تتكلّم عن ذنب بينها وبين الله عزّ وجل، وكانت تتحدث طوال الوقت عن شيء معيّن تتكلّم، وبعدها تعود إلى نقطة: « كيف ألغي هذا الشيء من حياتي؟ كيف يمكن ألا ألقى الله عز وجل بهذا العمل في صحيفة عملي؟ فهل يُحتسب هذا العمل من الصغائر، أم من الكبائر؟ وهل يترتّب عليه وعيد في الآخرة؟

تخوّفها صحيح، فعلى العبد أن يتجنّب لقاء ربّه وهو حاملٌ له.

وفي الوقت نفسه من الأسبوع الماضي وصلتني رسالة من إحدى الفتيات؛ وكانت تتكلّم عن شيء بينها وبين الله عزّ وجلّ وكانت تقول: (أنا لا أعلم كيف تفوّهتُ بعبارة «يا ربي لماذا تفعل بي هكذا؟» وأضافت: «بحياتي لم أنطق بها ولم يتلفّظها لساني فلستُ من النوع الذي يتسخّط، وأعلم جزاء التّسخّط، لكنّني في تلك اللحظة لم أتمالك نفسي؛ لمصيبة أصابتني، فتلفّظت بتلك العبارة»، وفي نهاية الرسالة كتبت كلمة وقالت :«كيف أمسح هذه الكلمة؟»

إنّ الموقفين اللّذين تعرضتا لهما الفتاتان هما من المواقف التي نتعرض لها بشكل يومي ودائم، وما من إنسان إلا وله هذه الزلّة وهذا الانهزام أمام الشّيطان في لحظةٍ من لحظات الضَّعف فتشعر أنّك انهزمت، ولا تعرف كيف فلتت منك الكلمات. من الممكن أنك تبت من هذا الذنب منذ خمس سنوات أو عشرين سنة، وفجأة تجد نفسك تلطّخت فيه من غير أي مقدمة، هذه المواقف التي تحصل لنا هي الذنوب التي تتراكم علينا، أعلمُ أنّنا تكلمنا كثيراً عن الذنوب وكيف نتغير لكنه أمرٌ جميل أن نتذكر مسألة الحساب. **فلو أنّ واحدًا من النّاس عاش خمسًا وعشرين سنةً، وأذنب كلّ يومٍ خمسة ذنوب، فتأمّل كم ستكون؟**

قمنا في ذلك الوقت بحسابها في جوّالاتنا؛ دعونا نقُل أنّك لا تذنب في اليوم إلّا ذنبًا واحدًا فقط؛ مثل أنّك كذبت كذبةً واحدة، أو نظرت إلى صورة عورةِ امرأةٍ كاسيةٍ عاريةٍ ترتدي ملابسَ ضيّقة تفصّل كلّ جسمها ...إلخ.

ولنفترض أنّك مثلًا غيرت الصفحة بسرعة، ولنقل تجاوزًا إن هذا ذنبٌ واحد فتخيل في اليوم الواحد لم تقترف إلا هذا الذنب فقط، ولو كان عمرك خمسة وعشرين عامًا، ووصلت سن البلوغ في الخامسة عشرة، هنا نحن نتكلم عن عشر سنوات اضربها بعدد أيام السنة (٣٦٥) يومٍ تصبح (٣٦٥٠) ذنبٍ. فإذا بلغت سن الخامسة والثلاثين يصبح الناتج

(٧ آلاف) ذنبٍ، وبعدها أصبح عمرك خمسة وأربعين عاماً، وهكذا نتكلم عمّا يزيد عن (١١ ألف) ذنبٍ ، هذا ذنبٌ واحدٌ، ولا يوجد إنسان يذنب ذنباً واحداً في اليوم، ذلك أنّ هذا أشبه بملاك، ولو أحصينا ذنوبنا في اليوم الواحد لوجدناها بلغت مئة، مئتين، خمسمائة، في اليوم الواحد.

وكم من الذنوب التي نقترفها بشكل يومي؟ وكم من الذنوب لها تبعاتٌ وارتدادات؟ كرسالةٍ أو مقطع فيديو أرسلته، وقلت: شاهدت هذا الفيلم وكان جميلاً، وجاء عشرةٌ بعدك، وشاهدوا هذا الفيلم المليء بالمنكرات: نساءٌ ورجال، عوراتٌ وموسيقى ... إلخ.

الآن أنت حسبت هذا الذنب عن نفسك، لكن العشَرة الآخرين يقترفون ذنبَك، هذه كلّها ارتدادات أخرى. فنحن عندما نتكلم عن هذه الارتدادات التي أحصاها الله ونسيناها لا نحسب بهذه الطريقة ولا نعرف كميّة وحقيقة الذنوب المُقترفة. فعندما نرجع إلى الله عز وجل ونفد إليه عز وجل بهذه الذنوب لهو أمرٌ خطير، هذا إذا كنا نذنب ذنبًا واحدًا في اليوم، فكيف لو أذنبنا أكثر من ذلك؟

توقّف العلماء عند هذا السؤال، وقالوا: «كيف نرجع إلى الله عز وجل بهذا الكم الهائل من الذّنوب؟».

قال تعالى:﴿من يعمل سوءًا يجز به﴾ (النساء:١٢٣). ولمّا سمع أبو بكر رضي الله عنه هذه الآية قال: يا رسول الله تمطأت لها؛ أي كان جالسًا، فلم يتمكن من مواصلة جلوسه، فتمطّأ لها.

فهل كلّ من يعمل سوءًا يجز به؟ وأيّ سيّئة اقترفناها سيجازينا الله جل جلاله بها؟ أجل، إذًا أين سنكون إذا كان كل سيئة نقوم بها سنجازى عليها؟ نعلم أنّ الحسنة الواحدة - من كرم الله - يضاعفها سبعمائة ضعف ،وأنه - من كرم الله وعدله- لا يضاعف لك السيئة، وإنّما يحسبها كما هي، قال تعالى:﴿ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾(القصص: ٨٤)، فعلى قدر هذه السيئة.

ومع ذلك لاحظوا هو يومٌ واحدٌ على مدى خمسٍ وأربعين سنةً، فتلقى الله عز وجل بما يقارب أحد عشر ألف ذنب، أمرٌ كبيرٌ جدًا، وعظيم أن تؤول إلى الله أو أن ينتهي أجلك وعندك هذا الكم من الذنوب ترافقك في قبرك. وقف العلماء عند هذا المبحث وقالوا: كيف لعبد أن يفدَ إلى ربه بهذا الكم الهائل من الذنوب؟

فهو هالكٌ هالك لا محالة، وجمعوا أحاديث النبي عليه الصلاة والسلام والقواعد الشرعيّة، ونظروا هل فيها ما ينقذ الإنسان من الذنب؟ هل فيها ما يحول بين الإنسان وبين أنه يقبر مع ذنبه؟ أو يقوم يوم القيامة فلا يكون مع المذنبين الخطّائين؟ أجاب العلماء وهذا من مِنّتهم علينا، وسأركّز حديثي عمّا قاله شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه (منهاج السنة النبوية)، وتكلّم فيه عن عشرةِ موانعَ تمنع عقوبة الذنب - حتى لو كان كبيرةً من الكبائر- أن يعاقبَ أو يعذبَ عليها الإنسان.

إليك عشرةُ أسبابٍ تحول بين الإنسان وذنبه فلا يُعاقَب، أو يُحاسب، أو يُعذّب عليه:

- خمسةٌ من هذه الأسباب في الدنيا، إنّها أسباب من الممكن السيطرة عليها، وهذا يعني أنه من الممكن فعلها ما كان فيك نفسٌ يتردّد.

- اثنان منها في قبرك، ومعنى ذلك أنّك عندما تقترفها؛ إما تُهدى لك أو ستفعل لك فمعنى ذلك أنّ هناك أسباب ستكفّر الذنب لكنّها أسبابٌ أخرى.

- ثلاثةُ أسباب تكون يوم القيامة، وكلها عبارة عن الممحِّصات، وسموها (مكفرات الذنب) وسموها (الماحيات)، وسماها شيخ الإسلام ابن تيمية (الأسباب العشرة لموانع العقوبة)، إذن هذه الأمور العشرة هي التي تحول بين الانسان وبين أن يعاقب على ذنبه في النار، فهناك أشياء تمسحها تمامًا وأشياء يُعذَّب عليها عذابًا خفيفًا، وهناك أشياء نتحدث عنها فيما بعد.

السّبب الأول: التّوبة:

وهو أسهل الأسباب وأبسطها، وذلك بأن تفعل الذنب، فتتوب عنه، بمجرد أن تقول: «يا ربّ تبت»، فلو أنّ هاتين الأختين - اللتين تكلّمتا معي- وعزمتا النّيّة من الداخل على ذلك، فإنّها ستكون -بإذن الله -توبةً حقيقةً، ولا بدّ أن يكون التائب صادقاً مخلصاً نادماً على ما حدث. ويستحي أن يتجرّأ على الله عز وجل، وأن يعزم ألّا يعود إليه، فلو تعرّض للموقف نفسِه مرةً أخرى، فعليه ألّا يكرّره.

يقول النبي عليه الصلاة والسلام : (التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ)[1]، اسمعوا لهذا الحديث الذي يأتي كالبلسم على قلب المجروح، فلا وجود لهذا الذنب إطلاقا، مُسِح الذنب تماماً، إذن هل مسح فقط؟ لا، فمن كرم الله عزّ وجل أنه يتوب عليك فيغفر لك ذنبك، بل ويبدّل كل سيئاتك السابقة التي تشعر بالخجل منها حسناتٍ، ولذلك يشعر التائب من الذنب بدفقةٍ ايمانيةٍ موجودةٍ فيه، ويشعر أنه يريد أن يفعل كل شيء؛ يصلي، ويتصدق ... يجد فيه هذه الدفقة الكبيرة من الإيمان، فمن أين لك الإيمان، أنت لتوك نويت التوبة، فمن أين أتاك هذا الايمان كلُّه؟

هذا كلُّه من السيئات، الله قَبِل توبتك، فقلب كل تلك السيئات حسناتٍ كمساعدة لك لتمضي في طريقك إلى الله عز وجل.

استمع معي لهذه القصة: (جاء أعرابي إلى النبي عليه الصلاة والسلام يسأله عن هذا الشيء، فلمّا قال له النبي عليه الصلاة والسلام أنّ التّوبة تجبُّ ما قبلها وأنّ الإسلام يجبُّ ما قبله، قال يا رسول الله: وغدرَاتي وفجرَاتي؟ أنا قاطعُ طريق، فعلت أشياء _ ولم يذكرها _ حتّى قال "وغدراتي وفجراتي" قال وغدراتك وفجراتك. يقلبها الله عز وجل لك كلّها حسنات).

فأول مانع من الموانع التي تمنع هذا الذنب من أن تنزل به العقوبة توبة هذا الإنسان.

والسؤال الأهم هو: هل تُقبل التّوبة عن صغائر الذّنوب فقط ؟

الجواب: لا، وإنّما يقبل الله عزّ وجلّ التّوبة عن الكبائر أيضًا. فيقبلها من الفاسق ومن العاصي، بل ويقبلها الله عزّ وجل من الكافر أيضًا، فإذا تاب الإنسان من الكفر تاب الله عز وجل عليه.

[1] أخرجه ابن ماجه، وقال الألباني حسن لغيره.

قال تعالى في حق الذين آذوه أخطأوا في حقه: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٣) أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٧٤)﴾ (المائدة:٧٣-٧٤).

هؤلاء الناس الذين تجرؤوا على الله عز وجل وقالوا إنّه ثالث ثلاثة فنسَبوا له زوجًا ونسَبوا له ولدًا ومع ذلك يقول الله عز وجل : ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ فإذا كان هذا بحقّ الكفر فكيف بحق الكبيرة، وكيف بما هو أدنى من ذلك، ولكي تعرف الفرق بين الكبائر والصغائر، فالصغائر هي محتقرات الذنوب التي لا يُعبأُ بها، وحذَّر منها الرسول عليه الصلاة والسلام عائشة (عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ : قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : يَا عَائِشُ ، إِيَّاكِ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ فَإِنَّ لَهَا مِنَ اللهِ طَالِبًا)[٢] معنى ذلك يجب ألا تقول هذا ذنب صغير.

وأما الكبائر فهي التي رتّب الله عزّ وجل عليها وعيدًا أخرويّا أو لعنًا أو طردًا من رحمته عز وجل والحديث المشهور في الزينة عن عَبْدِ اللهِ بن مسعود قَالَ: (لَعَنَ اللهُ الْوَاشِمَاتِ، وَالْمُسْتَوْشِمَاتِ، وَالنَّامِصَاتِ وَالْمُتَنَمِّصَاتِ ...)[٣]، فعندما تقوم امرأة بالنّمص أو الوشم لامرأة أخرى فإنّ الاثنتين مطرودتان من رحمة الله عز وجل.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (لَعَنَ اللهُ الْوَاصِلَةَ وَالْمُسْتَوْصِلَةَ)[٤] فبعض النساء تتحجج بأن شعرها خفيفٌ، فتضع الوصلات والشعر المستعار وغير ذلك، كل هذا مما تساهل به الناس، وكل من يفعل ذلك يُطرد من رحمة الله عز وجل. وإذا كنتم تذكرون عندما تكلمنا عن أهوال يوم القيامة، وكنا نقول عندها تزول كل أسباب المودة، فلا يشفعُ لك أمٌّ أو خليلٌ أو صديق، ولا تبقى لك إلا رحمةُ الله جل في علاه، ولله تسعٌ وتسعون رحمةً خبّأها ليوم القيامة، فإذا فعلت هذا الذّنب طردت نفسك من هذه الرحمات التسعةِ والتسعين الموجودة يوم القيامة، لأن اللّعنَ طردٌ من رحمة الله، ونحن نعرف أنّ اللّعن ما لعن به إبليس، ولذلك طُرِد من رحمة الله .فالله ﷻ لعن النّامصة والمتنمّصة والواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة، بغضّ النظر إذا غيّر الناس أسماء هذه المصطلحات من وشم إلى (تاتو)، وغيرها.

ولذلك كل أبواب الزينة مفتوحة للناس التي تريدها من حُلِيٍّ أو أشياء قابلة للإزالة (مكياج)، فالزينة التي حُرّمت هي فقط الزينة التي فيها تغيير لخلق الله تعالى، وهذا الحديث الوحيد الذي جاء في التحريم.

إذن لو تاب الإنسان من كل هذه الكبائر لما حاسبه الله عليها إطلاقًا، بل فوق هذا كله فالله يحبه، يقول تعالى: ﴿إنّ الله يحب التوابين ويحب المتطهرين﴾ (البقرة: ٢٢٢).

ويقول الله عز وجلّ عن الكفّار الأسرى الذين أُسِروا في معركةٍ حربيّةٍ وكانوا يحملون سلاحهم في وجه المسلمين قال تعالى:﴿فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين﴾ (التوبة: ١١).

فتخيّلوا معي عِظَم مراتب التوبة! هناك أناس كافرون ومحاربون للدين وأهل الكبائر والفسق كل هؤلاء إن تابوا غفر الله عز وجل لهم، ولذلك قال العلماء: (قد يذنب العبد الذنب يدخله الجنة. كيف يدخله الجنة؟ قالوا: وقد يفعل

---

[٢] أخرجه الدارمي في مسنده، وصححه الألباني.
[٣] أخرجه مسلم في صحيحه.
[٤] أخرجه البخاري في صحيحه.

الطّاعة يدخل بها النار، كيف؟ قال: يعمل الذنب فلا يزال تائبًا نادمًا منه فيدخل بندمه الجنة)، فتلقاه مكسورًا بسبب ما اقترف دامعًا كل مرة يقف فيها أمام الله يستسمح الله، يصلي الليل، يصوم النّهار، يتصدق بهذه النية، ويعمل أعمال الخير الكثيرة ليمسح له هذا الذنب، فهذا ذنب واحد سجّله الله عز وجل في حياتك وقدّره لك حتى يدخله هذا الذنب الجنة،

وإنسانٌ آخر فعل الطاعات وأعجبته نفسه واغترّ بعمله الصالح، فيبتعد عن دعائه أو حاجته لله لأنه توّهم أنه لا يوجد في حياته ما يجعله بحاجة للتوبة الله إلى أن تقسو نفسه، وربما كان يرائي فيها إلى أن يدخل النار، ولذلك قال الله عز وجل: ﴿وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلّكم تفلحون﴾ (النور: ٣١)، "جميعًا " أي لا أحدَ مستثنى، لا أحد يقول ذنبي مختلف، ذنبي كبير، لا أظن أن الله عز وجل سيغفر لي، لا يوجد ذنب لا يغفره الله الرحمن الرحيم الغفار الغفور.

جاء في الحديث المشهور عن الرجل الذي قتل تسعاً وتسعين نفساً، ما سمعنا في القصص بأحد قتل مائة نفس؟ إلّا أنّ هذا الرجل قتل تسعًا وتسعين نفسًا ومع ذلك تاب الله عز وجل عليه ،وقال تعالى في الآية أيضا:﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ﴾ (الزمر: ٥٣)

لم يوجّه الله عزّ وجلّ حديثه هنا إلى العباد المؤمنين، بل قال: [قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ] يعني أكثرت على نفسك من الذنوب ومن هذا الذي أكثر على نفسه من الذنوب هذا الذي لم يُبقِ لا شاردةً ولا واردةً من ذنب إلا وفعلها فهذا إنسان استكثر حتى أسرف على نفسه من الذنوب لم يقل الله عز وجل: قل يا أيها الذين أسرفوا على أنفسهم، بل قال: قل يا عبادي فلم ينفِ عنهم صفة العبوديّة.

السّبب الثّاني: الاستغفار وكثرة الاستغفار تمسح هذا الذنب:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا يَحْكِي عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ: أَذْنَبَ عَبْدٌ ذَنْبًا فَقَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ فَقَالَ: أَيْ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: عَبْدِي أَذْنَبَ ذَنْبًا فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ فَقَالَ : أَيْ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ اعْمَلْ مَا شِئْتَ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ[٥].

هل ذنب هذا العبد مغفور؟ ماذا حلّ بالعبد؟ هل ظل يذنب ويعود فيغفر الله عز وجل له؟ يذنب فيعود إلى الله فيغفر عز وجل له أم أن الله حينما غفر له نزع هذا الذنب من قلبه؟

كلّها احتمالات، أهم شيء أنّ الله عز وجل هنا قال :"قد غفرت لعبدي" فغفر الله عز وجل لهذا العبد الذي يعاود الاستغفار في كل مرة، والجميل في هذا الكلام " قَالَ: أَذنَب عبْدٌ ذَنْبًا فقالَ: اللَّهُمَّ اغفِرْ لِي ذَنْبِي" قد يظن الإنسان

[٥] أخرجه مسلم في صحيحه.

أنّه من السهولة أنك تذنب وتعود فتستغفر وتذنب فتعود فتستغفر ، الحقيقة إنها ليست بهذه السهولة، إذا أذنبت ذنبًا ومنعت نفسك من الاستغفار له، فلن تستطيع أن تغفر لنفسك ذلك الشعور بعدم الاستغفار.

مثلًا شخص تاب عن سماع الموسيقى، ثم رجع في موقف معيّن بعدها فاستغفر الله، وهو صادق، وعزم ألّا يكرّرَ ذلك الفعل لكنه استمع في حفلة (عرس) أو في مكانٍ ما إلى الموسيقى مرةً ثانية، وبعدها عاد إلى الله عزّ وجلّ وطلب المغفرة منه، وتاب، ثم عاد لنفس الفعل مرةً ثالثةً، ورابعةً... هل سيعود ويتوب بهذه الحرقة نفسها ؟ أم أنه سيشعر بكذبه ونفاقه وامتلاكه وجهين؟ ويبدأ يخاطب نفسه: « أنا لا أستطيع أن أتوب عن هذا الذنب، أنا لست قادراً على الاستمرار بهذه الخطوة، ويبرر لنفسه بأن الله كتب له سماع الموسيقى، وأنه ليس مقدرٌ له أن يكون من الفئة التي لا تسمع المعازف .

فليس من السهولة أن تذنب وتعود فتستغفر، ثم تذنب فتعود فتستغفر، هذا يحتاج إلى قلبٍ معلّقٍ بالله، متحرّقٍ، نادم، قد يكون ضعيفًا يهزمه الشيطان في كل مرة، لكنه مع ضعفه يعود إلى الله في كل مرة، ولا يستسلم لشيطانه، لأنه من السّهل على الإنسان أن يستسلم للشيطان ولا يصاب بعقدة تأنيب الضمير، لأنه يوجد أناس يزعجها تأنيب الضمير هذا، يريد أن يذنب وهو مستأنسٌ، وهو مرتاح البال، دون أن يلاحقه الشعور بالذنب الذي اقترفه، ولذلك من موانع العقوبة على الذنب أنك تستغفر الله عز وجل وتكثر من هذا الاستغفار، ولذلك قال تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا (١١) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ (نوح: ١٠-١٢).

فلو كنت فقيرًا استغفر الله عز وجل، ولو كنت مكروبًا فاستغفر الله عز وجل، ولو ضاقت بك الدّنيا أيضًا فاستغفر الله عز وجل، ولو نزلت بك ضائقةٌ لا ترجو لها حلاً فاستغفر الله عز وجل، وسترى من ذلك عجبًا.

إليك هذه القصة كشاهدٍ على كلامي عن الاستغفار:

أختي؛ أدّتْ مناسك الحجّ -تقبل الله منها- وكان معها في الحملة في غرفة الإقامة امرأة كانت طوال الوقت تستغفر الله العظيم، فأخبرتني أختي أن هذه المرأة كلما سنحت لها الفرصة تنادي: "هيّا يا بنات استغفرنَ، يا بنات استغفرنَ " إنسانة عادية لكن الاستغفار يجري على لسانها، ثمّ روتْ لأختي قصّتها عن الاستغفار، تقول: «أصابني كرب وهذا الكرب نوعٌ من ضائقةٍ ماليةٍ أو لها حقوق في مكان توظيف أو شيء آخر، المهم أنه لم تصرف لها هذه الحقوق أو أنها ضائقة مرّت بها فسمعتْ أن الاستغفار يفرج الكرب، فجلست تستغفر الله عز وجل ونسيت الموضوع الذي بدأت من أجله حتى صار الاستغفار يسري في لساني، وبعد فترة فإذا بذلك المبلغ فجأة يودع في حسابي من غير أن ألاحقه ولا أسعى فيه، جاءني بالتمام، ثم وجدتُ أنّ الله تعالى لم يفرج كرب ضائقتي فحسب وإنما كان يفرج علي كروباً في الطريق ويمهد لي أشياء لم أكن أستوعب كيفية تيسيرها، فعلمت أن الاستغفار كان وراء كل ذلك، ومن حلاوة هذا الاستغفار أصبحتُ وكأنني أشعر بنوعٍ من الأنانية أني أخُصُّ نفسي بالاستغفار فقط، فأصبحتُ أستغفر -بالاسم- لأبي، وأستغفر لأمي، وأستغفر لجدي ولجدتي، إلى أن رأى إخوتي أبي في مناماتهم يقول: "ابنتي هذه افضل بناتي لديّ" فظنّ إخوتي أنني أتصدّق عن روح أبي، فأخبرتهم أنني لا أفعل شيئًا

إلا أنّني أستغفر الله. ثم رأيتُ في منامي أنّ أبي يمسكني ويقول لي: "مليون مليون" أي كأنّكِ وصلتِ في الاستغفار إلى مليون].

إنّ من حلاوة ما استشعرت تلك المرأة في نفسها أنّها تستغفر للغير، ولذلك من موانع الذنب أنك تستغفر الله عز وجل، ولاحظوا من كرم الله تعالى أنّه لا يمسح فقط عنك ذنبك، بل أنه ييسّر لك حياتك، ويمهّد لك من الأمور ما لم تتخيله أنت بأن الله عز وجل سيفعلها لك.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللهُ بِكُمْ ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ فَيَسْتَغْفِرُونَ اللهَ ، فَيَغْفِرُ لَهُمْ[٦]؛ لأن الله غفور رحيم ويحب أن يغفر لعباده ويحب أن يجود عليهم، فيجب على الإنسان أن يستغفر الله عز وجل ليمنع هذا الذنب من عقوبته.

السّبب الثّالث: الحسنات الماحيات:

عندي ذنب وهناك أشياء تبت منها وهناك أشياء ما زلت استغفر الله عز وجل عليها، إلا أننا قلنا منذ قليل: إذا ارتكبنا ذنبًا واحدًا فسنلقى ربنا سبحانه وتعالى بأكثر من ١١ ألفَ ذنب. ومما يساعدنا على محو تلك الذنوب الكثيرة: (الحسنات الماحيات)، قال تعالى: ﴿إن الحسنات يذهبن السيئات﴾ (هود: ١١٤) .يعني كأنها تنفخ عليها فتطير، فكل حسنة تفعلها تطير معها سيئة من السيئات!

عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا ، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ[٧].

إذن عندما نقول: أتبع السيئة الحسنة تمحها فأي سيئة تفعلها ألحق فيها حسنة تمسحها، ولذلك النبي عليه الصلاة والسلام قال : الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ ، وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ ، مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ[٨]، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ[٩]، وعن هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: مَنْ حَجَّ لِلهِ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ[١٠]. وعن عُثْمَان بن عفان رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ بِفِنَاءِ أَحَدِكُمْ نَهَرٌ يَجْرِي يَغْتَسِلُ فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ مَا كَانَ يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ ؟ قَالَ : لَا شَيْءَ . قَالَ : فَإِنَّ الصَّلَاةَ تُذْهِبُ الذُّنُوبَ كَمَا يُذْهِبُ الْمَاءُ الدَّرَنَ[١١]، وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ الصَّدَقَةَ لَتُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ وَتَدْفَعُ مِيتَةَ السُّوءِ[١٢] .

---

٦ أخرجه مسلم في صحيحه.
٧ أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح.
٨ أخرجه مسلم في صحيحه.
٩ اخرجه البخاري في صحيحه.
١٠ أخرجه البخاري في صحيحه.
١١ أخرجه ابن ماجة في سننه، وصححه الألباني.
١٢ أخرجه الترمذي، وصححه الألباني.

والأحاديث معروفة في الوضوء والتسبيح والتهليل وغيرها من الحسنات. مثلا: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: مَنْ قَالَ سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ، حُطَّتْ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ [١٣]

هذه الأشياء هي الحسنات الماحيات؛ ولذلك قال الله تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (١٠) تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (١١) يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾(الصّف: ١٠-١٢)،

فتخيلوا أن هذه التجارة التي دلنا عليها الله عز وجل تدخلك في صفقات معه سبحانه وتعالى، فإذا كان عندك سيئات تريد محوها خذ من الحسنات الماحيات، ولذلك من رحمة الله عز وجل بنا هذه المواسم التي أوجدها الله مثل صيام يوم عرفة؛ يغفر الله السنة التي قبلها والتي بعدها ، صيام عاشوراء؛ يكفر السنة التي قبلها، وغيرها من مواسم الخير التي إذا استغليناها سنمحو بها ذنوبنا

ولا بدّ هنا أن نطرح سؤالاً مهمًا؟ هل كل حسنة فعلناها تمسح عنا الذنوب؟

تأمل قول الحق جل جلاله: ﴿إنما يتقبل الله من المتقين﴾ (المائدة:٢٧) ... الحسنة التي تمسح السيئة هي الحسنة التي يتقبلها الله عز وجل، ولذلك كان السلف يقولون: « لو أعلم أن الله تقبل مني ركعتين فلا أبالي بعدها بأي شيء!».

لماذا هذا الكلام؟ لأننا قلنا: إن الصلوات مكفرات لما بينها لكن أي صلاة؟ الصلاة التي لا خشوع فيها؟ الصلاة التي لا نتم ركوعها ولا سجودها؟ الصلاة التي ننقرها نقرًا؟

عَنْ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : إِنَّ الرَّجُلَ لَيَنْصَرِفُ وَمَا كُتِبَ لَهُ إِلَّا عُشْرُ صَلَاتِهِ تُسْعُهَا ثُمُنُهَا سُبُعُهَا سُدُسُهَا خُمُسُهَا رُبُعُهَا ثُلُثُهَا نِصْفُهَا[١٤]، فلو تُقبّل منك العُشر لمسح من السيئات العُشر، ولو تُقبّل النِّصف فمسح منها مثلُها، وهكذا .....

لذلك عندما تفرَغُ من صلاتك؛ اسأل نفسك عن خشوعك وترتيلك للقرآن وتسبيح الله وتعظيمه بصلاتك، وهل استشعرت الحركات التي قمت بها؟ قم بتقييمها من عشرة كم تستحق عليها؟ واعرف أنك بقدر ما وقع في قلبك بقدر ما يغفر الله عز وجل لك من هذه الذنوب، ولذلك يُغفَر للإنسان فيها على قدر ما تقبل من الحسنات، لو كُفِّرت كل السيئات وما أزال أكسب هذه الحسنات باستمرار، ولا أعرف أذنوبي قليلة أم غفرها الله جميعها، ولا أظن أن أحدًا يستطيع أن يتخيل هذا الأمر، لكن دعونا نفعل ذلك تجاوزًا ،فهذا إنسان عنده حسنات كثر إلا أنها طغت على سيئاته كلها فماذا يفعل بهذه الحسنات؟

سيرفع الله درجاته في الجنة ،وتتراكم عليه الدرجات إلى أن يكون في أعلى عليين؛ لذلك أحيانًا قد يتقبل الله عز

---

[١٣] أخرجه البخاري في صحيحه.
[١٤] أخرجه أبو داود في سننه، وصححه الألباني.

وجل حسنة من الحسنات وتكون هذه الحسنة مما لا يؤبه به من الأمور التي قمت بها كالصدقة، وتفريج الكروب... إلخ، واحذر أن يكون فيها من الرياء وغيره الشيء الكثير _ وأنت غير متنبهٍ إلى هذا الأمر _ تأتي يوم القيامة فإذا بكل ذلك هباءً منثورًا، وإذا بسجلات السيئات مد البصر بأشياء معلقه موجودة.

أعود وأكرر ما قلته بأن ذنبًا واحدًا فقط طوال خمس وأربعين سنة، يصبح أكثر من أحد عشر ألفًا، وإذا كانت خمسة فضاعفها، ولو كانت ستة، وهكذا..... فماذا لو كانت مائتي ذنب؟!

تحضر حفلاً (عرساً) لمدة خمس ست ساعات، أخبرني كم الرقم؟ وكم عورةً شاهدت؟ كم من الموسيقى _بإيقاعٍ أو غير إيقاعٍ_ سمعت؟

قيّم نفسك بهذه الساعات الستة وأخبرني كم ذنبًا ارتكبت! كم شخصًا تحدثنا عنه أثناء حضورنا! كم شخصًا اغتبناه! تخيل معي أن تأتي يوم القيامة وإذا بسجلاتٍ مرفوعةٍ من السيئات ولا شيء عندك من الحسنات! إلا أن الله قد يتقبل من عباده أشياء لا يتوقعونها.

ويخبرنا النبي عليه الصلاة والسلام بالضبط عن هذه الحادثة بعينها عن صاحب السجلات حينما نشرت له سجلاته عن عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ اللهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلًّا ، كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ الْبَصَرِ ثُمَّ يَقُولُ أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا ، أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الْحَافِظُونَ، فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَلَكَ عُذْرٌ، فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً، فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ، فَتُخْرَجُ بِطَاقَةٌ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: احْضُرْ وَزْنَكَ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ، فَقَالَ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ، قَالَ: فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كِفَّةٍ وَالْبِطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ، فَطَاشَتِ السِّجِلَّاتُ، وَثَقُلَتِ الْبِطَاقَةُ فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللهِ شَيْءٌ[١٥].

ولذلك لا تحقرنْ من المعروف شيئًا، واضرب بسهمٍ في كل بابٍ من أبواب الخير ، هذا الإنسان الذي قال: (أشهد ألا إله إلا الله) هل كان يظن أنها ستنجيه؟ كان هذا الإنسان ينظر إلى الأمور الأخرى كتفريج كُرَبِ البيوت التي بناها، لقد ظنَّ هذه الأمور ستنفعه، وكان يجعلها زاده وعندما يدعو يا رب إن كنت تعلم أني فعلت كذا... لم يتوقع أنه بذاك اليوم الذي قال فيه (لا إله إلا الله) مخلصًا قلبه لله، راغبًا راهبًا راجيًا بها ربه، هي التي نفعته يوم القيامة، ولذلك تنفع هذه الحسنات الماحيات يوم القيامة. هذه الحادثة على ما فيها من البشارة إلا أنها لن تحصل إلا لشخص واحد فقط ولذلك قال النبي عليه الصلاة والسلام في بداية الحديث: "يخلص رجل من أمتي" شخصٌ واحدٌ امرأةٌ أو رجل أياً كان، لكن هذا العبد المخلص من أمة محمد واحدٌ فقط.

الشّاهد من هذا الكلام قد يتقبل الله منك عملَ خيرٍ واحدٍ يمحو كل تلك السيئات التي فعلتها، ومصداق هذا الكلام الأحاديث المعروفة المعهودة كحديث أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَرَّ رَجُلٌ بِغُصْنِ شَجَرَةٍ عَلَى ظَهْرِ طَرِيقٍ فَقَالَ : وَاللهِ لَأُنَحِّيَنَّ هَذَا عَنِ الْمُسْلِمِينَ لَا يُؤْذِيهِمْ فَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ[١٦].

[١٥] أخرجه الترمذي في سننه، وصححه الألباني.
[١٦] أخرجه مسلم في صحيحه.

إذن هذا العمل الصالح فقط هو ما أنقذه.

ثم تأتي تلك المرأة البغي من بني إسرائيل تسقي كلبًا كما في الرواية التي تقول تاقت نفسها إلى توبة فماتت عليها وهي بغي صحيفة أعمالها كلها عبارة عن زنى وهي من أعظم الكبائر ومن السبع الموبقات، اسمها موبقات، ليست فقط الكبائر، ومع ذلك يغفر الله عز وجل لها فتدخل الجنة، لا تعرف ما هي الحسنة الماحية التي تمحو هذا الذنب، ولذلك قال النبي عليه الصلاة والسلام :"إن الرجلين ليكون مقامهما في الصف الواحد وبين صلاتهما كما بين المشرق والمغرب "فتتفاضل الأعمال بينهما بتفاضل القلوب، ولذلك قال الله عز وجل:﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ ۚ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ (سورة هود: ١١٤)، وعَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ خَرَجَتْ خَطَايَاهُ مِنْ جَسَدِهِ حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ تَحْتِ أَظْفَارِهِ[١٧]

.فأحيانا تذكر ذنبًا من ذنوبك، وتشعر أنك متوتر، ولا تستطيع النوم، وتخاف أن تموت على هذا الذنب، وتشعر أن استغفارك باردٌ، وتقول في نفسك: (أنا تبت لكن لا أدري أتاب الله علي أم لا؟) فعندما يأتيك مثل هذا الشعور لا شيء أفضل لك من الوضوء، وعندما تتوضأ في تلك اللحظة وأنت تعرف حديث النبي عليه الصلاة والسلام وتسمعه بأذنك فإذا وضعت الماء خرجت خطايا وجهك مع آخر قطرة ماء، فإذا غسلت يديك خرجت مع آخر قطرة ماء من يديه ثم من عينه حتى رمش عينه، وهكذا في كل ذنب خطيئة في كل جارحة من هذه الجوارح تسيل مع آخر قطرة.

قال النبي عليه الصلاة والسلام في هذا الحديث: (حتَّى تَخْرُجَ مِن تَحْتِ أَظْفَارِهِ) تسيل خطاياه حتى تخرج من أظفاره وهذه من الأشياء التي يبرد بها الإنسان على قلبه من حرارة الذنب.

وهناك أناس لا يوجد عندهم ما يسمى بالحسنات الماحيات أو قدرة على الاستمرار في العمل الصالح. من الممكن أن يفعلوا خيرًا في رمضان وفي المواسم الأخرى، لكنهم لا يملكون هذه الإرادة المستمرة في قيام الليل وصيام الاثنين والخميس وصيام ثلاثة أيام من كل شهر ، صدقات شهرية يومية، ليس عندهم هذه الإرادة، فهل من الممكن أن ينساهم الله عز وجل؟ الجواب: لا.

السّبب الرّابع: المصائب المُكفّرة:

قال النبي عليه الصلاة والسلام وهذا الحديث جاء ردًا على أبي بكر حين نزل قوله تعالى :﴿ من يعمل سوءا يجز به﴾(سورة النساء الآية ١٢٣). فقال يا رسول الله تمطّأت لها.. يعني يا رسول أمن يعمل سوءا يُجز به؟ قال النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ وَلَا وَصَبٍ وَلَا هَمٍّ وَلَا حَزَنٍ وَلَا أَذًى وَلَا غَمٍّ ، حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا إِلَّا كَفَّرَ اللهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ[١٨].

النصب: التعب الحسي أو النفسي، الوصب: المرض والتعب الجسدي.

[١٧] أخرجه مسلم في صحيحه.
[١٨] أخرجه البخاري في صحيحه.

قال عمر بن الخطّاب: «لو أن المؤمن أضاع شيئًا في كمّه فأخذ يبحث عنه واهتم لذلك كفّر الله له به خطاياه».
يعني تبحث عن شيء، عن مفتاح الغرفة، أو أي شيء ضاع، يقول فاهتم لذلك فبحث كل ذلك البحث كفّر الله له بها من خطاياه.
كذلك الهمّ والغم، فعندما يكون الإنسان مغمومًا أو مهمومًا من بلاءٍ أصابه، أو كان مكسور الخاطر من خبرٍ سمعه، أو من معلومة، أو من تخوّفٍ مستقبليّ.... إلخ. فهذا الهم الذي يرجف بسببه قلبك، كل ذلك هو محتسبٌ عند ربنا الرحيم، بشرط أن تحتسب كل تلك الابتلاءات عند الله سبحانه وتعالى.

أخبرنا النّبي عليه الصّلاة والسّلام أنّ الحزن لأيّ سببٍ أيًا كان، يُثيب الله عزّ وجل عليه عباده، ويكفّر به خطاياهم.
وهناك أحاديث أخرى تتكلم عن ذلك، حتى عن ضربة عِرق يدِك أو رجلك إذا نمت، عندما يشدّ عليك، إصبعك إذا نبض، أو أي شيء من هذه الأشياء البسيطة، عينك عندما ترف أو تؤلمك أسنانك، كل هذه على مدار الخط يكفّر الله عز وجل بها من خطاياك. من أجل هذا يسمّيها العلماء المصائب المكفّرة.
جاء في الحديث الشريف: أن رجلًا أخبر عنه النبي عليه الصلاة والسلام يُريد الله بهذا الرجل خيرًا لخبيئةٍ بينه وبين الله، قلبه طيب، إنسان صالح في نفسه، غير مؤذٍ لغيره، هناك شيءٌ بينه وبين الله، فيريد الله له المنزلة العليّة في الجنة، فلا يبلغها الرجل بصلاةٍ ولا صيام، فليس هذا الرجل من المكثرين في أعمال العبادة، ليس له حظٌّ من قيام ليل أو صيام، فما عنده الشيء الكثير، فلا يزال الله يبتليه بالبلاء والمصائب فيصبر عليها فيبلغ بها تلك المنزلة.
إذًا في بعض المصائب هدايا من الله عز وجل، هي من عطايا الرحمن. قد نبتلى وتؤذينا أحيانًا، وقد نغتم لها أحيانًا أخرى، لكن الله يكتب لصاحبها مرتبةً عاليةً في الجنة، لذلك إذا ما التفتَّ حولك فسترى أُناسًا مُصابين بنوعٍ من المرض يقعدهم تمامًا ولا يستطيعون فعل شيءٍ في الحياة، المشلولون شللًا رباعيًا أو المصابون بمرض مُقعد، أو المقيمون في المستشفيات منذ ثلاثين سنة لا يتحرك فيهم إلاّ لسانهم أو أعينهم....إلخ
تنظر لهم وتقول ما الحكمة من هؤلاء؟ فلو أنهم ماتوا لكان أفضل لهم؟ ما الحكمة من أن يبقَوا هكذا فلو رأيت إنسانًا على هذه الحال!.. لرحمْتَه ورحمْتَ أهلَه، وأنتَ لا تعلم أنّ الله عزّ وجلّ يمد لهذا الإنسان يوم القيامة بأجور كالجبال، ولذلك يأتي أهل البلاء يوم القيامة فيودّ أهل العافية من الناس الذين كانوا سعداءَ في الدنيا لو أنهم كانوا منهم لما يرون لهم من عظيم الأجر عند ربهم.

- <u>المصائب نوعان:</u>

١- دنيوية.

٢- دينية.

ندعو دائمًا فنقول: «ولا تجعل مُصيبتنا في ديننا».
مثلًا: إنسان يترك الصلاة، إنسانة ثانية كانت متحجبة وتركت حجابها...إلخ ، فمصيبة هؤلاء في دينهم، هل يؤجرون عليها؟ لا .. بل هذه من السيئات التي يجب أن يتوبَ العبد عنها، فنحن ندعو ربنا «اللهم لا تجعل مُصيبتنا في ديننا».

السّبب الخامس :دعاء إخوانه المؤمنين له في الدّنيا:

وهو السبب الأخير لمحو الذنب في الحياة الدّنيا، وهذا من فوائد الصّحبة الصّالحة، أنْ يكون من حولك رفقة خير، يدعون لك باسمك، ويعرفون وجهك، يرونك في ضيقٍ مكسورَ الخاطر ولا يعلمون ماذا أصابك، من الممكن أنْ يجلسَ أحدُهم طوال الليل، وهو يدعو الله بشتّى أنواع الدّعاء أن يجبر الله كسرك ويفرّج همَّك أو أي دعاء فيه الخير، أو قد يراك أحدهم على ذنبٍ عظيمٍ، فيدعو لك الله أن يهديك ويرزقك صلاح الحال .فمثل هذه الأدعية التي بظهر الغيب تُضاعَف لك لأنّ ملكاً من الملائكة يؤمن عليها.

قال النبي عليه الصلاة والسلام: : إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ : إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُ له[١٩] .

والولد الصّالح قد يكون ولدًا من صُلب الإنسان وقد يكون ولدًا ليس من صُلبه إذا كنتِ مدرِّسة أو مربِّية، فكلُّ أولئك الذين تخرَّجوا على يدك ودعوا لك أو ما يزالون يدعون لك يُعتبرون من الولد الصّالح.

السّبب السّادس: سكرات الموت:

فإذا وصل العبد لساعة الاحتضار، فلم يتب إلى الله، وكان قليل الاستغفار، ولا يملك الحسنات الماحيات، وكان صحيحًا معافى، دون إعاقات أو تشوّهات، ولم يكن له رفقة خير يدعون الله له، فلو رجع إلى الله عز وجل فسيرجع بسجلّات أعمال بأرقام فلكيَّة وضخمة من الذنوب التي لم تُغفر بعد ولم تُمسح؛ إذ لا شيء يمسحها، فيُشدَّد عليه في ساعات الاحتضار. ولا يشدَّد فقط على المذنب، ولكن يشدد أيضًا على العبد الصّالح كما حدث مع ا لنبي عليه الصلاة والسلام وذلك رفعةً لدرجاته، فكان يقول: (إنّي أُوعَك كما يوعك الرجلان منكم) كان تعب النبي عليه الصلاة والسلام عن تعب رجلين، والحمى التي تأتيه عن رجلين اثنين، فتخيلوا أنه يصاب بمرض جسدين في جسدٍ واحد! عليه أفضل الصلاة والسلام.

السّبب السّابع: ما يُهدى للميت بعد موته:

فإذا مات ودفن في قبره، ضُمّ عليه قبره، وهذه الضمّة لا ينجو منها عبدٌ مؤمن ولا غير مؤمن. كما قال النبي عليه الصلاة والسلام: إِنَّ لِلْقَبْرِ ضَغْطَةً , لَوْ كَانَ أَحَدٌ نَاجٍ مِنْهَا , نَجَا سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ[٢٠].

فهذه الضمّة ليست من أنواع العذاب ولكن لتكفير السيئات، شيءٌ كتبه الله عز وجل على كل بني آدم أن تُضمّ عليهم قبورهم فتختلف فيها أضلاعهم و تكفرَ عنهم سيئاتُهم و تُرفع فيها درجاتهم.

فإذا كانت ذنوبه كثيرة، فلم تُغفر بشدّة الاحتضار، ولا بشدّة ضمّة القبر وما زال عنده ذنوب، عند ذلك يبدأ عذاب القبر، وعذاب القبر أسهل بملايين المرات من العذاب الأخروي في النار، فعل الرّغم من أن عذاب البرزخ وعذاب القبر مخيف إلا إن الإنسان لو خُيّر بين عذاب القبر و عذاب النار لكان عذاب القبر أسهل ألف مرة من عذاب الآخرة، لذلك عندما يبعث الكفّار يوم القيامة يقولون : ﴿يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون﴾ (يس:

[١٩] أخرجه مسلم في صحيحه.
[٢٠] أخرجه أحمد في مسنده، وصححه الألباني.

٥٢). عُذّبوا في قبورهم لكنهم يعرفون أهوال يوم القيامة وما ينتظرهم في الكير الأعظم أي في النار.

يُعذّب الإنسان في قبره على مدى يومين أو ثلاثة يشتعل عليه قبره ربما شهر، شهرين بقدر ذنوب هذا الإنسان، وعلى حسب الذنوب التي يريد الله عز وجل أن يُطهره منها، وأي شيء تتطهر فيه قبل يوم القيامة .

وقد يعذب بشيءٍ من الذنوب لا يعلم عنه أهله شيئًا، كل ما يذوقه هذا الميت في قبره يُخفّف عنه، ولذلك ما يُهدى للميت من حفر آبار أو بناء مساجد أو الحج عنه، أو الصدقات التي تصله، يخفف الله بها عن أصحابها. لذلك قال النبي عليه الصلاة والسلام: قَالَ : إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ : إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ[٢١].

وعَنْ عَائِشَةَ أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ أُمِّيَ افْتُلِتَتْ نَفْسُهَا ، وَلَمْ تُوصِ وَأَظُنُّهَا ، لَوْ تَكَلَّمَتْ تَصَدَّقَتْ ، أَفَلَهَا أَجْرٌ إِنْ تَصَدَّقْتُ عَنْهَا ، قَالَ : نَعَمْ[٢٢].

يعني توفّي قبل أن يوصي ذويه، فأوصاه النبي عليه الصلاة والسلام بالماء وسقيا الماء فلا يوجد أفضل منها للميّت.

ولذلك نذكر القصة المشهورة التي ذكرها أحد المشايخ: (رجل توفيت زوجته فعمل لها مشروع، وبعد مدة رأى زوجته تأتيه في المنام متعرّقة من شدّة الحر، وتكررت هذه الرؤيا أكثر من ثلاث مرات، فسأل أحد المفسرين فقال له: هل صنعت لزوجتك شيء؟ قال له أجل، أنا أتصدق عنها. قال له: ماذا فعلت بالضبط؟ قال وضعت لها برّاد ماء أمام أحد المساجد، فقال له الشيخ اذهب وتفحّصه، فلمّا ذهب وجده معطّلاً منذ ثلاثة أيام، وهي الأيام ذاتها التي كان يرى فيها زوجته في المنام) لذلك من صدقات الناس التي من الممكن أن يتصدقوا بها عن الميّت سُقيا الماء. ومن أصعب ما تصاب به أن تكون في قبرك وتنتظر غيرك ماذا سيفعل لك، ولذلك من كان له ميّت فليفعل له ذلك حتى يُسخِّر له الله عز وجل بعده من يفعل له.

وإن لم تملك شيئًا من الصدقات فيكفي أن تستغفر له الله «اللهم اغفر لفلان» فلو استطعت أن تستغفر لهم بلسانك أو بأي شيء من أعمال الخير تهديها لهم فذلك مما يخفّف عنهم عذاباتهم في القبر، أو يُكتب لهم من أجور وحسنات. ولذلك نحن ندعو للأموات ونقول: "اللّهم جازهم بالحسنات إحسانًا وبالسيئات عفوًا وغفرانًا " فإنّك بهذا الدعاء تدعو للميّت أن يارب زدهم أجرًا على ما فعلوه من حسناتٍ، وما فعلوه من ذنب فقابلهم به غفرانًا وإحسانًا. ماذا لو مضت كل هذه السنين على الإنسان وهو في قبره وهو لا يزال عنده شيء من السيّئات ولم تُغفَر كُلُّها بعد، فأحدهم كان يرتكب في اليوم الواحد ما لا يقل عن خمسمئة ذنب، مسلسل واحد لا نعلم كم عدد حلقاته وكم ذنب تقترفه بمشاهدتكَ؟ كم لقطة من الحرام شاهدت فيه؟ وكم من مناظر الفحش والتعري والموسيقى الحزينة والموسيقى السعيدة وغير هذه الأشياء التي ممكن تحصل، أحصي قيمتها وضاعفها في كل المواسم وفي كل الحلقات فكم أصبحت؟

فهذا الذي في قبره بعضها تُكفّر له وبعضها لا تُكفّر فماذا يكون جزاؤه؟

[٢١] أخرجه مسلم في صحيحه.
[٢٢] أخرجه مسلم في صحيحه.

السّبب الثّامن: ما يحصل له من كُرب في يوم القيامة:

تذكرون في الدروس السابقة التي تكلمنا فيها عن يوم القيامة وأن هناك أناسًا يأتون يوم القيامة ومن لحظة خروجهم من قبورهم يقال لهم لا خوفٌ عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون وتستقبلهم الملائكة وتحتفي بهم، تطمئنُّ قلوبهم من البداية، فهذا يوم الفزع الأكبر، الناس فيه خائفة فهذا يوم القيامة، تخيّل أنْ تنامَ وتستيقظَ فإذا بيوم القيامة، هذا اليوم الذي تَرى فيه الملائكة لأول مرة، ترى الأرض غير الأرض والسماء تُسجَّر، وترى خلقًا لأول مرة لا يعرفهم إلاّ الله عز وجل، فذلك اليوم الذي وصفه الله عز وجل بقوله: ﴿يومًا يجعل الولدان شيبا﴾ (المزمل: ١٧) ﴿وتضع كل ذات حملٍ حملها﴾ (الحج: ٢) . حيث تُسقِط النساء حملها، ويشيب رأس الطفل مما يرى.

في هذا اليوم بالذات أناس لا يُقاسون كل هذا، منذ خروجهم من قبورهم والملائكة تطمئنهم أنّ لهم مساراً خاصاً. قال تعالى:﴿لا خوفٌ عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون﴾(الزخرف: ٦٨).

وبعضهم تُشدَّد عليه كُربات يوم القيامة فتدنو منه الشمس، يتعرق أكثر، يُصبح الوقوف عنده أصعب. يكون وقوف المؤمنين الصالحين كوقوف ساعة أو أقل من ساعة، فكأنه وقف لربع ساعة أو نصف ساعة، في المقابل يمكث فيها باقي الناس ما يقارب خمسين ألف سنة، قال تعالى: ﴿في يومٍ كان مقداره خمسين ألف سنة﴾(المعارج: ٤)؛ لذلك قال الصحابة يا رسول الله: ما يقيم الناس يومئذٍ؟ يعني كيف يصبر الإنسان خمسين ألف سنة واقفًا لا يشرب ولا يأكل واقفًا على رجليه، والناس لا تأكل ولا تشرب؟ فقال: إن الله كتب عليهم موتةً واحدةً، يعني أن الله كتب لهذا الإنسان موتةً واحدةً وبعدها يمنحه الله عز وجل قدرة التحمل بأن يصبر في مكانه إلى أن تنتهي كل تلك الأهوال.

لاحظوا _ رعاكم الله_ هو لم يعذب بالنار بعد، فمجرد الفزع والخوف والعرق الذي يلجمه، كفر من سيئاته وهذا من رحمة الله به، وأولئك الذين كُفّرت سيئاتهم من البداية هل ما يزالون تحت ظل العرش أم اتجهوا إلى مسار آخر، فمن رحمة الله بالمذنبين أن يشدِّد عليهم الفزع والخوف فهذه مجرد مشاعر قبل أن يعذب بالنار.

في آخر أهوال يوم القيامة يأمر الله عز وجل بضرب الصّراط فيقيمه _ كما هو معروف _ على النار، فأمّا الكافرون فيُلقون فيها جِثيًّا ومباشرة يسقطون فيها، وأما المسلمون الصالحون فهؤلاء يمرون على الصراط، فبعضهم يسقط في النار مباشرةً من البداية، وبعضهم يستمر بالمشي، وبعضهم يصل سريعًا، وبعضهم لا زال على الصّراط فيتأخّر ويستغرق سنينًا ليصل، منهم من قال ثلاثَ سنوات ومنهم من قال سبعَ سنوات وبعضهم يكون آخرَ أهل الصراط مرورًا وهو الذي لا يسقط في النار ويستغرق أربعَ عشْرة سنة في اجتيازه، فانظروا إلى الفرق بين هذا وبين ذاك وبين الشخص الذي كان مروره على الصراط مثل غمضة عين، مثل البرق.

بعد اجتياز الصراط يُحبس الجميع أمام الجنة، ذلك لأنه لا يمكن لأحد دخول الجنة وعنده ذنبٌ واحدٌ أو معصيةٌ واحدةٌ أو مظلمةٌ واحدة. فلن تدخل الجنة ولا يزال فوق ظهرك ذنبٌ أو سيئة، فيحبسون بمكان أمام الجنة بمكانٍ اسمه القَنطرة، فيقتصُّ الله للنّاس، تقتصّ الأمّ من ابنها وابنتها و الولد والبنت من أمّهما، والزّوجة من زوجها والزّوج من زوجته، ومن الأهالي بعضِهم بعضًا، ومن المعلّم وتلاميذه في الدّرجة وفي الظّلم وفي المرتّبات والأجور، وفي الخصم، ويبدأ الاقتصاص من الكلمة التي جَرحت، ومن الكلمة التي قلتها ولم تلقِ لها بالًا دون أن تشعر أنها جرحت إنسانًا آخر..

ذلك لأنه لن يَدخل أهل الجنةِ الجنةَ وأنتِ في خاطرك على أخيك أو أختك شيء.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ حُبِسُوا بِقَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيَتَقَاصُّونَ مَظَالِمَ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا حَتَّى إِذَا نُقُّوا وَهُذِّبُوا، أُذِنَ لَهُمْ بِدُخُولِ الْجَنَّةِ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِهِ، لَأَحَدُهُمْ بِمَسْكَنِهِ فِي الْجَنَّةِ أَدَلُّ بِمَنْزِلِهِ كَانَ فِي الدُّنْيَا[٢٣].

الاقتصاص من ماذا؟ من الحسنات؟ ليست هذه مثل الرسائل التي تُرسل آخر العام فيها استغفار جماعي وكلها من البدع .. ليس الحبس في القَنطرة الاقتصاص من بعض شفهيًا أو كسرنا خاطرنا وفزنا فلندخل الجنة.. لا .. كل واحد منا حريصٌ ألّا يبقى في قلبه حزن أو كدر على الآخر، فينقّيهم الله عز وجل ويهذّبهم، ويتقاسمون الحسنات، فقد تأتي بجبال من الحسنات مثلاً عشرة جبال من الحسنات فتوزعها تعطي الخادم قليلاً، وتعطي السّائق قليلاً، وتعطي طلابك قليلا...إلخ، فتدخل الجنة بربع جبل، لا أحد يدخل فوق البيعة، هذا المكان يُقتص فيه من كل شيء إلاّ الصيام }إلاّ الصوم فإنه لي وأنا أجزي به{ فلا يدخل في المقاصصة، ولو دخل في المُقاصصة فإن الله يضاعفه له، لقوله تعالى: ﴿إنما يوفّى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾ (الزمر: ١٠) . ومن معاني الصابرين: الصائمين.

المسلمون الذين سقطوا في النار؟ أولئك لديهم ذنوب لابد من التطهر منها. ألم يكفِ عذاب القبر وما كان عندهم من أمور الدنيا الخمسة؟ ماذا سيحل بهم؟

<u>السّبب التّاسع: أن يأذن الله عز وجل بالشفاعات:</u>

فيشفع الأنبياء، ويُخرجون أممًا من النار، يأتي موسى عليه السلام فيُخرج أمةً من أمته، ويأتي النبي محمد صلى الله عليه وسلم فيخرج أمةً من النار.

عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: خُيِّرْتُ بَيْنَ الشَّفَاعَةِ وَبَيْنَ أَنْ يَدْخُلَ نِصْفُ أُمَّتِي الْجَنَّةَ ، فَاخْتَرْتُ الشَّفَاعَةَ؛ لِأَنَّهَا أَعَمُّ وَأَكْفَى ، أَتُرَوْنَهَا لِلْمُتَّقِينَ؟ لَا ، وَلَكِنَّهَا لِلْمُذْنِبِينَ الْخَطَّائِينَ الْمُتَلَوِّثِينَ[٢٤]

وشفاعة النبي عليه الصلاة والسلام واحدةٌ من ثماني شفاعات خاصّة به عليه الصلاة والسلام، هذه الشفاعة لأهل الكبائر من أمته الذين سقطوا في النار، فمن في القنطرة دخل الجنة وبقي هؤلاء. فيأتي الأنبياء ويشفعون لهم فيخرجون من أممهم أرقام ثم يتبعهم المؤمنون للشفاعة.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَا مُجَادَلَةُ أَحَدِكُمْ فِي الْحَقِّ يَكُونُ لَهُ فِي الدُّنْيَا بِأَشَدَّ مُجَادَلَةً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لِرَبِّهِمْ فِي إِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ أُدْخِلُوا النَّارَ " ، قَالَ : " يَقُولُونَ : رَبَّنَا ، إِخْوَانُنَا كَانُوا يُصَلُّونَ مَعَنَا ، وَيَصُومُونَ مَعَنَا ، وَيَحُجُّونَ مَعَنَا ، فَأَدْخَلْتَهُمُ النَّارَ ! " قَالَ : " فَيَقُولُ : اذْهَبُوا ، فَأَخْرِجُوا مَنْ عَرَفْتُمْ مِنْهُمْ " ، قَالَ : " فَيَأْتُونَهُمْ ، فَيَعْرِفُونَهُمْ بِصُوَرِهِمْ ، فَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ النَّارُ إِلَى أَنْصَافِ سَاقَيْهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ إِلَى كَعْبَيْهِ ، فَيُخْرِجُونَهُمْ ، فَيَقُولُونَ : رَبَّنَا ، قَدْ أَخْرَجْنَا مَنْ أَمَرْتَنَا " ، قَالَ : " وَيَقُولُ : أَخْرِجُوا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ وَزْنُ دِينَارٍ مِنَ الْإِيمَانِ " ، ثُمَّ قَالَ : " مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ وَزْنُ نِصْفِ دِينَارٍ ، حَتَّى يَقُولَ : مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ وَزْنُ ذَرَّةٍ " . قَالَ أَبُو سَعِيدٍ : فَمَنْ لَمْ يُصَدِّقْ فَلْيَقْرَأْ هَذِهِ الْآيَةَ : { إِنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ } إِلَى { عَظِيمًا } [٢٥].

---

[٢٣] أخرجه البخاري في صحيحه.
[٢٤] أخرجه ابن ماجه في سننه، وضعفه الألباني.
[٢٥] أخرجه النسائي في سننه، وصححه الألباني.

رفقة الخير تنفعك، فيدخلون الجنة ويقولون كنا سبعة في الدنيا وصرنا خمسة أين فلان؟ ألم يدخل؟! يا رب شفّعنا فيه، فلا ينسونه في ذاك الموقف، ولاحظوا ! لم يكن لهم ذلك بالسهل، فلم يأذن الله عز وجل لهم بالشفاعة من المرة الأولى، فيسألون الله عز وجل، ما ناموا وتنعموا في قصورهم، ذلك لتعرفي من يستحق أخذ القرارات الدنيوية من أجله، ومن يستحق أن تغير في مظهرك ولباسك من أجله ! لا أحد تذكرك من أهلك في الدنيا لم يسأل أحد منهم عنك

ولكن من سأل عنك؟ هؤلاء.. قالوا يا رب فلان وفلان كانوا معنا كنا نجتمع في مكان واحد رب شفعنا فيهم، فيأذن الله عز وجل في الشفاعات، فيخرج كل واحد منهم، عن جَابِرِ بْنَ عَبْدِ اللهِ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّ قَوْمًا يَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ يَحْتَرِقُونَ فِيهَا إِلَّا دَارَاتِ وُجُوهِهِمْ حَتَّى يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ[٢٦] .

فيمر على النار فيرى أحداً لا يعرفه يتعذب فيها ولا يعرف اسمه لكنه كان يعرف مكان جلوسه وتواجده في الدنيا. عرفه بالمكان فقط يا رب شفعنا فيه، قال تعالى:﴿ولا يشفعون إلا لمن ارتضى﴾ (الأنبياء: ٢٨). }يشفع الله لمن يشاء ويرضى{ فمن الممكن ألا يأذن الله لك بالشفاعة مع أوّل زمرة، ربما لأنه لم يحن الوقت بعد، ولا يأذن ك في الزمرة الثانية ولا يُشفِّع فيك الأنبياء، ولا يُشفِّع فيك الصالحين، فتكونين في المرتبة قبل الأخيرة فيأذن الله بشفاعتك . لا تعلم أتكون مع أول فوج خارج أم مع الثاني أم مع الأخير؟

هذه كلها حسب المراتب الأعلى وحسب ما بينك وبين الله عز وجل.

وتأتي أعمال مخصوصة مثلًا حافظ القرآن يشفع في عدد من أهله، الشهيد يشفع في سبعين من أهله ممن استوجبوا النار من الموحدين فيشفع لهم فيخرجهم وهذا أجر الشهيد، وغيرهم من الصالحين الذين يشفعون لإخوانهم،

انتهت شفاعة الصالحين والمؤمنين، تأتي شفاعة الملائكة، فتشفع لمن كان -مثلًا- يتردّد قبل فعل الذّنب، أو يراجع نفسه ، أو يغادر مجالس الغيبة، أو كان يُكثر من التّسبيح، وذكر الله...

فتقول الملائكة تقول: «يا ربِّ صوتٌ معروف من عبد معروف»، ونبيّنا يونس _عليه الصلاة والسلام- خير مثالٍ على ذلك لمّا التقمه الحوت، فهذه المواقف وغيرها تستوجب شفاعة الملائكة عند الله جل جلاله، هنا تنتهي شفاعة الأنبياء والملائكة والمؤمنون الصالحون و يدخل الجنّة من يدخل.

السّبب العاشر: رحمةُ الله بمن تبقى من عباده في النار:

بقي من تحوَّلَ إلى حممٍ وتفحم، تحولوا إلى فحمٍ لا يعرفهم أحد، ولا يراهم أحد، ولا يملكون شيئًا ينقذهم من النار إلا كلمة لا إله إلا الله، لا صلوا ولا صاموا ولا قاموا بـأي عمل صالح أو طاعة، إلا أن معهم لا إله إلا الله، فما كانوا يعبدون أحدًا إلا الله، ولا يعلمون أن هناك رازقٌ ولا خالقٌ ولا مدبّرٌ لهذا الكون إلا الله عز وجل، هذا اعتقادهم ويقينهم، لكنهم فشلوا بالعمل، فلم يقوموا بعمل، لم يعرفهم الأنبياء ولم يعرفهم الصالحون ولم تعرفهم الملائكة لأنهم ما فعلوا خيرًا قط، تحولوا إلى فحمٍ وإلى حمم، فتخيلوا الآن يوم القيامة وقدره خمسون ألف سنة بالإضافة إلى الصراط بعد ١٤ سنة، كم أخذت هذه الشفاعات من الوقت إلى أن انتهت الله يعلم كم الزمن وهؤلاء

[٢٦] أخرجه مسلم في صحيحه.

تحولوا إلى فحم، فيقول الله عز وجل في نهاية يوم القيامة كما في الحديث: ....، : شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ قَدْ عَادُوا حُمَمًا، فَيُلْقِيهِمْ فِي نَهَرٍ فِي أَفْوَاهِ الْجَنَّةِ ، يُقَالُ لَهُ : نَهَرُ الْحَيَاةِ ، فَيَخْرُجُونَ كَمَا تَخْرُجُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ ، ....)[٢٧] ويُكتب على جبينهم الجَهنّميّون، ثم يزيلها الله عز وجل منهم فيكونون عتقاء الله من النار، لاحظوا ما الذي أنقذهم؟ قولهم لا إله إلا الله.

جاء في الحديث عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَدْرُسُ الْإِسْلَامُ كَمَا يَدْرُسُ وَشْيُ الثَّوْبِ ، حَتَّى لَا يُدْرَى مَا صِيَامٌ وَلَا صَلَاةٌ وَلَا نُسُكٌ وَلَا صَدَقَةٌ. وَلَيُسْرَى عَلَى كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي لَيْلَةٍ ، فَلَا يَبْقَى فِي الْأَرْضِ مِنْهُ آيَةٌ ، وَتَبْقَى طَوَائِفُ مِنَ النَّاسِ، الشَّيْخُ الْكَبِيرُ وَالْعَجُوزُ ، يَقُولُونَ: أَدْرَكْنَا آبَاءَنَا عَلَى هَذِهِ الْكَلِمَةِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، فَنَحْنُ نَقُولُهَا، فَقَالَ لَهُ صِلَةُ : مَا تُغْنِي عَنْهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَهُمْ لَا يَدْرُونَ مَا صَلَاةٌ وَلَا صِيَامٌ وَلَا نُسُكٌ وَلَا صَدَقَةٌ؟ فَأَعْرَضَ عَنْهُ حُذَيْفَةُ ، ثُمَّ رَدَّهَا عَلَيْهِ ثَلَاثًا ، كُلَّ ذَلِكَ يُعْرِضُ عَنْهُ حُذَيْفَةُ ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ فِي الثَّالِثَةِ فَقَالَ: يَا صِلَةُ، تُنْجِيهِمْ مِنَ النَّارِ ، ثَلَاثًا[٢٨].

صحيحٌ أنهم احترقوا وصحيح أنهم تحولوا إلى حمم، ربما جلسوا مئات السنين في النار الله العالم كم يجلسون، لكن مع ذلك تخرجهم لا إله إلا الله.

هل تريدون معرفة أين هو الخطر؟ عندما يكون الضرب الآن على لا إله إلا الله، ما فكرة لا إلا الله؟ أنك تعتقد يقينًا ألا خالق ولا رازق ولا مدبّر لهذا الكون إلاّ الله عز وجل، وأنه لا ينفع ولا يضر إلا الله عز وجل، فكل من جاء فظن أن هناك طاقة أُخرى أو قوة أخرى هي التي تنفع أو تضر فقد جرح لا إله إلاّ الله، تطهير روحي، ذبذبات تردد، طاقة أرض، طاقة شمس أنت هنا تجرح لا إله إلا الله.

بالأمس أقرأ لواحدة وهؤلاء الناس وصلوا إلى مراتب في الشرك كبيرة جدًا، يتسمّون بأوراد من سور القرآن ويضعون لك ورد شيء ثم تقول لمدربتها شبكت معك في صلاة الوتر وشعرت بروحانية وقرأت الورد ووجدت نفسي حامل، وتشكرها لأنها شبكت معها في الوتر وهذه في بلد والثانية في بلد آخر، لاحظوا كيف يشبكون السم في عسل ويشبكون صلاة وسورة حدديها وضعيها مع شرك وأن هناك من ينفع ويضر غير الله عز وجل، لذلك من المهم جدًا أن تحافظ على لا إله إلا الله لأنها قد تكون السبب الأخير الذي يَحُول دونك ودون أن تخلدَ في النار.

هذه الأسباب العشرة التي تمنع من وقوع عقوبة الذنب على الإنسان ، كان أسهلها ألا يفعل الإنسان الذنب ابتداءً، ولو أنك فعلته كان الأسهل أن تتوب أو تستغفر أو أن تمحوها بحسنات ماحيات، أو أن تصبر على الابتلاءات التي يبتليك الله عز وجل بها وأن تستكثر من رفقة وأصحاب الخير الذين يحوطونك بأعمال الخير.

هذه الخمسة كانت بوسعك وهي بالإمكان في دنياك وأمّا الخمسة الأخيرة فهي تحصيل حاصل لِما كان يحصل في الخمس الأولى.

---

[٢٧] أخرجه مسلم في صحيحه.
[٢٨] أخرجه ابن ماجه في سننه، وصححه الألباني.

أرجو أن تكون في هذه المحاضرة إجابةٌ عن سؤال كيف نمحو الذنب .. وأسأل الله عز وجل أن يغفر لي ولكم، وأن يجعل خير أيّامنا خواتمَها، وخير أيامنا يوم نلقاه، والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين.

تنويه: مادة المحاضرة جمعت من مصادر عدة وجميع المحاضرات في المدونة ليست كتابة حرفية لما ورد في المحاضرة؛ إنما تمت إعادة صياغتها لتُناسب القرّاء وبما لا يُخلُّ بروح المحاضرة ومعانيها